الوسطية والاعتدال في تمذهب الحافظ ابن عبد البر المالكي

بقلم
أ.د. يوسف عبد اللاوي ط/دكتوراه: حمزة عياشي عمر
youcabd@yahoo.fr ayachi2539@gmail.com
قسم أصول الدين ـ معهد العلوم الإسلامية ـ جامعة الوادي

ملخص البحث

عرضت من خلال هذا البحث نمطا من أنماط الوسطية والاعتدال، ألا وهي الوسطية والاعتدال في التمذهب، فالتمذهب من القضايا التي اعتراها الإفراط والتفريط، والناس فيه على قسمين مذمومين، وقسم ثالث امتاز بالتوسط والاعتدال.

أما القسمان المذمومان، فمنها قسم أنكر التمذهب جملة وقلل من شأنه وانتقصه، وأن الناس مأمورون بالرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة.

وقسم بالغ في الانتساب إليها وتمجيدها والتعصب لها ونكران سوى الذي هو عليه، حيث يرى الحق المطلق في مذهبه، بل والواجب على الناس جميعا اتباعه، وذهب الحال ببعضهم إلى التعادي والتشاحن، بل وإلى بطر الحق وغمط الناس.

وقسم ثالث اعتدل أعطى للمذاهب قدرها، وللتمذهب أهميته دون مبالغة أو تعصب، أو انتقاص للمذاهب الأخرى، وقد كان من علماء الإسلام على هذا النهج المعتدل عدد غير يسير، ومن أبرز هؤلاء حافظ المغرب ابن عبد البر المالكي، حيث كان متمذهبا بمذهب الإمام مالك ومنتسبا إليه، ومعتنيا به خدمة وتأليفا، بل ودعوة إليه، في المقابل لم يحمله تمذهبه هذا على التعصب أو رد الحجة والدليل إن ظهرت، أو انتقاص بقية المذاهب.

وقد أتى هذا البحث مبينا حقيقة التمذهب عند الحافظ ابن عبد البر، ومظاهر الوسطية والاعتدال في تمذهبه –رحمه الله– مستندا في إثبات كل ما سبق إما إلى قوله، أو تصرفاته، ليكون للمتذهبين قدوة، وعلى المتعصبين حجة. وقد ذيلت هذا البحث بخاتمة تضمنت عددا من النتائج.

مقدمة

تعتبر الوسطية من المبادئ والقيم التي دعت إليها الشرائع، وأقرتها الفطر السليمة، ولا يزال الناس منذ قديم الزمن لا ينفكون يحيدون عنها بقصد أم بغير بقصد، فيغالون ويبالغون في اتباع طرف على حساب الآخر، فقد يبالغ الناس في التعلق بالمادة، فيدعو العقلاء إلى اعتبار المبادئ الروحية طلبا للاعتدال، وقد يغالي الناس في التبتل والرهبنة، فيدعو العلماء للتوسط قياما بشؤون الحياة، وهكذا في كل عصر يستهوي الشيطان طائفة من

الناس أو كثيرا منهم إما إلى إفراط أو إلى تفريط.

والوسطية صفة محمودة تقع بين طرفي نقيض، وتكون بين إفراط وتفريط كالجود بين الإسراف والبخل، والشجاعة بين التهور والجبن.

ومن القضايا التي اعتراها الإفراط والتفريط، وتجلت فيها معاني الوسطية، قضية التمذهب والنظر إلى المذاهب، فالناس فيها على قسمين مذمومين، وقسم ثالث امتاز بالتوسط والاعتدال.

أما القسمان المذمومان، فمنها قسم أنكر التمذهب جملة وقلل من شأنه وانتقصه، وأن الناس مأمورون بالرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة.

وقسم بالغ في الانتساب إليها وتمجيدها والتعصب لها ونكران سوى الذي هو عليه، حيث يرى الحق المطلق في مذهبه، بل والواجب على الناس جميعا اتباعه، وذهب الحال ببعضهم إلى التعادي والتشاحن، بل وإلى بطر الحق وغمط الناس.

وقسم ثالث اعتدل أعطى للمذاهب قدرها، وللتمذهب أهميته دون مبالغة أو تعصب، أو انتقاص للمذاهب الأخرى، وقد كان من علماء الإسلام على هذا النهج المعتدل عدد غير يسير، ومن أبرز هؤلاء حافظ المغرب ابن عبد البر المالكي، حيث كان متمذهبا بمذهب الإمام مالك ومنتسبا إليه، ومعتنيا به خدمة وتأليفا، بل ودعوة إليه، في المقابل لم يحمله تمذهبه هذا على التعصب أو رد الحجة والدليل إن ظهرت، أو انتقاص بقية المذاهب. وسنورد في هذه المداخلة حقيقة تمذهب الحافظ ابن عبد البر، وكيف حذر من التعصب، بل ذم ما هو دون ذلك وهو عدم العناية بالدليل والحجة.

ومن هنا تتجلى أهمية الموضوع في إبراز مظاهر الوسطية في التمذهب عند ابن عبد البر، ودورها في التنشئة السوية للفقيه والتعايش السلمي بين المذاهب، مع التعرف على القدر المحمود من التمذهب والشق المذموم منه.

وعليه فإن السؤال الرئيس الذي يفرض نفسه أمام الباحث كالآتي:

* أين تكمن الوسطية والاعتدال في تمذهب الحافظ ابن عبد البر المالكي؟

وتتفرع عن هذا السؤال عدة أسئلة فرعية وهي:

-ما حقيقة تمذهب الحافظ ابن عبد البر؟

-أين تجلت مظاهر الوسطية في تمذهب الحافظ ابن عبد البر؟

-كيف تعامل الحافظ مع أقوال أئمة المذاهب الأخرى؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة قُسم البحث إلى تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة متضمنة لأهم النتائج وبعض التوصيات، وقد كانت الدراسة وصفية تحليلية استنباطية.

وقد احتوى المبحث الأول على مقدمات بين يدي البحث مقسمة إلى ثلاثة مطالب خُصّ المطلب الأول لأشهر التعريفات اللغوية والاصطلاحية للوسطية ، أما المطلب الثاني فقد اشتمل على تعريف التمذهب لغة

واصطلاحا –أيضا، ليتضمن المطلب الثالث تعريفا موجزا بالحافظ ابن عبد البر.

أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه حقيقة تمذهب الحافظ ابن عبد البر، والقرائن الدالة على تمذهبه بالمذهب المالكي. والمبحث الثالث اشتمل على مظاهر وسطية واعتدال تمذهب الحافظ ابن عبد البر.

ثم أنهيت البحث بخاتمة ألحقت بها عددا من النتائج.

وقد كُتبت عدة بحوث حول الحافظ ابن عبد البر، وحول التمذهب، وأخرى حول الوسطية والاعتدال، إضافة إلى كتب ابن عبد البر نفسها، حيث ساهم كل نوع من هذه الكتب في رسم ملامح البحث، وتركيب لبناته.

المبحث الأول:

احتوى المبحث الأول على ثلاثة مطالب أساسية حيث أتى المطلب الأول معرفا بالوسطية. والثاني به تعريف للتمذهب لغة واصطلاحا، ليأتي المطلب الثالث مشتملا على تعريف موجز للحافظ ابن عبد البر.

المطلب الأول: تعريف الوسطية:

أ- لغة: قال ابن فارس: الْوَاوُ وَالسِّينُ وَالطَّاءُ: بِنَاءٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْعَدْلِ وَالنِّصْفِ.[1]

قَالَ ابنُ بَرِّيّ: وأَمّا الوَسْطُ، بسُكُونِ السِّين، فهُوَ ظَرْفٌ... تَقُولُ: جَلَسْتُ وَسْطَ القَوْم، أَي: بَيْنَهُمْ. وَمِنْه قَوْلُ أَبي الأَخْزَرِ الحِمّانيّ: سَلّوم لَو أَصْبَحْتِ وَسْطَ الأَعْجَمِ أَي بَيْنَ الأَعْجَمِ...

وَقَالَ سَوَّارُ بنُ المُضرّب:

إِنّي كَأَنّي أَرَى مَنْ لَا حَياءَ لَهُ ... وَلَا أَمانَةَ وَسْطَ النّاسِ عُرْيَانَا[2] أي: بينهم.

وقال صاحب مختار الصحاح: وَالْوَسَطُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، أَعْدَلُهُ[3].

وعامة معاني الوسطية تدور حول معنيين، أحدهما: التوسط بين شيئين، وثانيهما العدل والخيرية[4]، فمن المعنى الأول قوله تعالى "حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى"، والصلاة الوسطى هي صلاة الصبح – على أحد الأقوال – لتوسطها بين الليل والنهار، قال الشيخ الطاهر بن عاشور: "وَتَوَسُّطُهَا بِالْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ ظَاهِرٌ، لِأَنَّ وَقْتَهَا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَالظُّهْرُ وَالْعَصْرُ نَهَارِيَّتَانِ، وَالْمَغْرِبُ وَالْعِشَاءُ لَيْلِيَّتَانِ، وَالصُّبْحُ وَقْتٌ مُتَرَدِّدٌ بَيْنَ الْوَقْتَيْنِ"[5]، ومن المعنى الثاني قوله تعالى "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا" أي: خِيَارًا عُدُولًا[6].

---

[1] – معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م، ج6، ص108.

[2] – تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج20، ص176.

[3] – مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط05: 1420هـ / 1999م، ص338.

[4] – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ج6، ص108.

[5] – التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ، ج2، ص468.

ب- اصطلاحا:

عرف عدد من العلماء والباحثين الوسطية من الجانب الاصطلاحي ومن بين هذه التعريفات:

01/ تعريف يوسف القرضاوي:

عرف الدكتور يوسف القرضاوي الوسطية بقوله: "ونعني بها التوسط أو التعادل بين طرفين متقابلين أو متضادين، بحيث لا ينفرد أحدهما بالتأثير، ويطرد الطرف المقابل، وبحيث لا يأخذ أحد الطرفين أكثر من حقه، ويطغى على مقابله ويحيف عليه. مثال الأطراف المتقابلة أو المتضادة: الروحية والمادية، والفردية والجماعية، والواقعية والمثالية، والثبات والتغير، وما شابهها[7]".

02/ عبد الله بن عبد المحسن التركي:

بينما كان تعريف عبد الله التركي للوسطية: بأنها تشمل الاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا ومطالب الآخرة فقال: "ووسطية أهل الإسلام المستقيمين على هديه، تبدو في الاعتدال والتوازن بين مطالب الدنيا والنظرة إليها، ومطالب الآخرة والعمل لها، والأخذ بالأسباب المؤدية إلى ذلك، دون إفراط أو تفريط، ودون إسراف أو تقتير، قال الله تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: 77]...إلى أن قال: فالإسلام وسط بين من غلا في أمر الدنيا، ولم يهتم بالآخرة، وبين من غلا في أمر الآخرة، ونظر إلى الدنيا نظرة ازدراء وابتعاد[8]"

03/ تعريف وهبة الزحيلي للوسطية:

ذكر الدكتور وهبة الزحيلي عدة تعريفات للوسطية وهي كالآتي:

01/ الوسطية في العرف الشائع في زماننا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق[9].

02/ الوسطية تعني أيضاً الاعتراف بالحرية للآخرين ولاسيما الحرية الدينية[10].

---

[6] – تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة، ط01: ص30. وينظر: الكتاب: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:01، 1422 هـ - 2001 م، ج2، ص627. وينظر: تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط01: 1419 هـ، ج2، ص80.

[7] – الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط02: 1404هـ-1983م، ص127.

[8] – الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، ط: 01، 1418هـ، ص46، 47.

[9] – الوسطية مطلبا شرعيا حضاريا، وهبة الزحيلي، ص05، ضمن أبحاث مؤتمر "الوسطية منهج حياة"، على موقع http://islam.gov.kw/Pages/ar/BooksItems.aspx?catId=9

[10] – الوسطية مطلبا شرعيا حضاريا، وهبة الزحيلي، المرجع نفسه، ص05.

03/ الوسطية يراد بها تصفية النفس من الأحقاد وإضمار العداوة للآخرين والكراهية والبغضاء[11].

04/ الوسطية تعني أيضاً الجمع بين الماديات والروحانيات[12].

05/ الوسطية كذلك في معاملة الآخرين في الداخل والخارج يراد بها التعامل الحر البريء[13].

06/ الوسطية تعني كذلك عدم التعمق أو الإغراق في الدين، أو الاسترسال في الروحانيات والتصوف، أو الإقبال الشديد على الدنيا وزخارفها وشهواتها[14].

والمتتبع لتعريفات العلماء والباحثين للوسطية اصطلاحا، لا يكاد يجد تعريفا إلا وهو متعلق بجانب من الجوانب، فنجد التعريفات متعلقة بماهية في ذهن الباحث، فتارة نجد تعريفات الوسطية في التوازن بين المادة والروح، وتارة بين الدنيا والآخرة، وتارة بين الأنا والغير وهكذا لا تكاد تجد معنى مطلق يشمل جميع أفراد الوسطية. وقد حاولت أن أضع تعريفا شاملا يسع عامة معاني الوسطية، وهو الوسطية هي: "كل اعتدال وتوازن مطلوب شرعا أو عقلا في حياة الإنسان".

حيث بإمكان هذا التعريف أن يشمل جميع معاني الوسطية المتصوَّرة وغير المتصوَّرة في الذهن، فهي تتنوع بتنوع تصرفات الإنسان، وتتسع باتساع مجالات الحياة.

المطلب الثاني: تعريف التمذهب لغة واصطلاحا:

أ – لغة: التّمذْهُب من الفعل تَمَذْهَب يقال: تمذهب الشَّخصُ، أي: اتّبع مذهبًا مُعَيّنًا، ودان به[15]، ووزن "تمفعل" وزن صحيح، جارٍ على سنن العرب، فقد وردت له نظائر في لغة القدماء، فضلاً عن المعاصرين، مثل: تَمَنْدَل، وتَمَدْرَع، وتَمَنْطَق، وتَمَسْكَن، وتَمَذْهَب، وتَمَرْكَز، وتَمَحْوَر[16].

ب – اصطلاحا: بيّن الدكتور خالد بن مساعد بن محمد الرويتع في كتابه "التمذهب دراسة نظرية نقدية" أن العلماء المتقدمين لم يتناولوا تعريف التمذهب من الجانب الاصطلاحي وإن ظهر استعمالهم للفظ التمذهب في كلامهم، وأن المعاصرين هم من تناولوا التعريف الاصطلاحي للتمذهب، حيث ذكر لهم قرابة ستة عشر تعريفا للتمذهب، وقد بين أنه بعد النظر والتأمل في كافة تعريفات من سبقه، اهتدى إلى التعريف الآتي فقال: "التمذهب هو: التزام غير العامي مذهب مجتهد معيّن في الأصول والفروع، أو في أحدهما، أو انتسابُ مجتهد

---

[11] – الوسطية مطلبا شرعيا حضاريا، وهبة الزحيلي، المرجع نفسه، ص05.

[12] – الوسطية مطلبا شرعيا حضاريا، وهبة الزحيلي، المرجع نفسه، ص06.

[13] – الوسطية مطلبا شرعيا حضاريا، وهبة الزحيلي، المرجع نفسه، ص06.

[14] – الوسطية مطلبا شرعيا حضاريا، وهبة الزحيلي، المرجع نفسه، ص07.

[15] – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط01، 1429 هـ – 2008 م، ج3، ص2081.

[16] – معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، ط01، 1429 هـ – 2008 م، ج2، ص916، وقد جاء هذا الكلام عقب الرد على من رمى هذا الوزن –وزن تمفعل– بالشذوذ.

إليه"[17]. وقد كان تعريفه جامعا، إذ شمل كافة معاني وصور التمذهب الموجودة في الواقع الفقهي.

المطلب الثالث: ترجمة موجزة للحافظ ابن عبد البر:

01/ حياته: هو: أَبُو عُمَرَ يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ البَرِّ بنِ عَاصِمٍ النَّمَرِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، المَالِكِيُّ[18]. ولد بقرطبة[19] فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَسِتِّيْنَ وَثَلاَثِ مائَة (368ه) فِي شَهْرِ رَبِيْعٍ الآخِرِ. وَقِيْلَ: فِي جُمَادَى الأُوْلَى، فَاخْتَلَفتِ الرِوَايَاتُ فِي الشَّهْرِ عَنْهُ[20]، سَكَنَ دَانِية، وَبَلَنْسِية، وَشَاطِبَةَ[21]، وتوفي بها أي: -شاطبة-[22] سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسِتِّيْنَ وَأَرْبَعِ مائَة(463ه)[23].

من كبار حفاظ الحديث، مؤرخ، أديب، بحاثة. يقال له حافظ المغرب... ورحل رحلات طويلة في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين[24].

02/ من شيوخه: سعيد بن نصر، وعبد الوارث بن سفيان، وأحمد بن قاسم البزاز، وأبي محمد بن أسد وخلف بن سهل، وابن عبد المؤمن، وأبي زيد عبد الرحمن بن يحيى وسعيد بن القزاز، وأبي زكريا الأشعري، وأبي عمر الباجي، وأبي القاسم ابن أبي جعفر، وابن الجسور[25].

03/ من تلاميذه: أبو العباس الدلائي، وأبو محمد بن أبي قحافة وأبو محمد ابن حزم، وأبو عبد الله الحميدي، وطاهر ابن مفوز. وأبو علي الغساني، وأبو بحر سفيان ابن العاصي[26].

04/ أقوال وثناء العلماء عليه: ابن عبد البر المالكي من علماء الأمة الذين تلقتهم أمة الإسلام بالقبول، حيث أثنى عليه القاضي والداني، وأقر بفضله القريب والبعيد، ومن ثناء العلماء عليه ما يلي:

---

[17] – التمذهب دراسة نظرية نقدية، خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، دار التدميرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01: 1434هـ / 2013م، ج01، ص87.

[18] – جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، 1966 م، ج1، ص367. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي – القاهرة، 1967 م، ج1، ص489. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط03: 1405 هـ / 1985 م، ج18، ص153.

[19] – الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط: 15، أيار / مايو 2002 م، ج8، ص240.

20 – سير أعلام النبلاء، الذهبي، مصدر سابق، ج18، ص154.

[21] – سير اعلام النبلاء، الذهبي، المصدر نفسه، ج18، ص156.

[22] – الأعلام، الزركلي، مصدر سابق، ج8، ص240.

[23] – سير أعلام النبلاء، الذهبي، مصدر سابق، ج18، ص159.

[24] – الأعلام، الزركلي، مصدر سابق، ج8، ص240.

[25] – ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب، ط01: 1965 – 1983م، ج08: ص128.

[26] – ترتيب المدارك، القاضي عياض، المصدر نفسه، ج8، ص128.

*قَالَ أَبُو القَاسِمِ بنُ بَشْكُوَال: "ابْنُ عبدُ البَرِّ إِمَامُ عَصْرِهِ، وَوَاحِدُ دَهْرِهِ، يُكنى أَبَا عُمَر "[27].

*وقال أَبو الوَلِيْدِ البَاجِي: "لَمْ يَكُنْ بِالأَنْدَلُسِ مِثْل أَبِي عُمَرَ بنِ عَبْدِ الْبر فِي الحَدِيْثِ، وَهُوَ أَحْفَظُ أَهْلِ المَغْرِب"[28].

*وقَالَ ابْنُ حَزْم: "لاَ أَعْلَمُ فِي الكَلاَم عَلَى فِقه الحَدِيْث مِثْلَه فَكَيْفَ أَحْسَن مِنْهُ ؟"[29].

*وقال الإمام الذهبي: " كَانَ إِمَاماً ديِّناً، ثِقَة، مُتْقِناً، علاَمَة، مُتَبَحِّراً، صَاحِبَ سُنَّةٍ وَاتِّبَاع... مِمَّنْ بلغَ رُتْبَة الأَئِمَّة المُجْتَهِدين، وَمَنْ نَظَرَ فِي مُصَنَّفَاتِهِ، بانَ لَهُ مَنْزِلَتُهُ مِنْ سعَة العِلْم، وَقُوَّة الفَهم، وَسَيَلاَن الذِّهن "[30].

05/ من مؤلفاته: امتازت مؤلفات الحافظ ابن عبد البر بالجودة والنفع، حيث كانت مطلب العلماء والباحثين في شتى الأعصار، وقد قال الإمام الذهبي عن تصانيف الحافظ ابن عبد البر: "وَسَارَتْ بتَصَانِيْفه الرُّكبَانُ"[31]، وذلك لشغف الناس بها وحبهم الاطلاع عليها. وقال –أيضا–" وَكَانَ مُوَفَّقاً فِي التَّأْلِيف، مُعَاناً عَلَيْهِ، وَنَفَع الله بتوَالِيفه"[32]. ومن كتب الحافظ ابن عبد البر الآتي[33]:

*الدرر في اختصار المغازي والسير.

*العقل والعقلاء.

*الاستيعاب.

*جامع بيان العلم وفضله.

*المدخل: في القراآت.

*بهجة المجالس وأنس المجالس.

*الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء.

*التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.

*الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار.

*القصد الأمم.

*الإنباه على قبائل الرواة.

*الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف.

*الكافي في الفقه.

---

27 – سير أعلام النبلاء، الذهبي، مصدر سابق، ج18، ص157.

28 – سير أعلام النبلاء، الذهبي، المصدر نفسه ، ج18، ص157.

29 – سير أعلام النبلاء، الذهبي، المصدر نفسه، ج18، ص158.

30 – سير أعلام النبلاء، الذهبي، المصدر نفسه، ج18، ص157.

31 – سير أعلام النبلاء، الذهبي، المصدر نفسه ، ج18، ص154.

32 – سير أعلام النبلاء، الذهبي، المصدر نفسه، ج18، ص158.

33 – الأعلام، الزركلي، مصدر سايق، ج8، ص240.

المبحث الثاني: دلائل تمذهب الحافظ ابن عبد البر بالمذهب المالكي:

تمذهب الحافظ ابن عبد البر كغيره من علماء أمة الإسلام رغم بلوغه مرتبة الاجتهاد، واتخذ مذهب الإمام مالك مذهبا له، ينتسب إليه، ويعتني بأمهات كتبه ويصنف فيه، وقد دل على تمذهبه بمذهب المالكية أمور منها:

01/ نسبته للمذهب المالكي: وقد ثبتت نسبة الحافظ ابن عبد البر للمذهب المالكي بتصريحه هو بذلك، وبتصريح أصحاب التراجم ممن ترجم له، بأنه مالكي المذهب:

أ- تصريح الحافظ ابن عبد البر بانتسابه للمذهب المالكي: مما يبين تمذهب الحافظ ابن البر، وأنه إلى مذهب المالكية ينتسب، تصريحه في الكثير من المواطن بأن المالكية من أصحابه، فمما كان يقوله، وخصوصا في كتابه التمهيد: "وَقَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا"[34]، أو "احْتَجَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا"[35]، أو "زَعَمَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا"[36]، أو "وَقَدِ اسْتَدَلَّ بَعْضُ أَصْحَابِنَا"[37]، ويقصد بأصحابه المالكية، حيث كان يصرح بهم ويبينهم في بعض المواطن، كقوله في بعض المواضع من كتابه "التمهيد": "وَالَّذِي عَلَيْهِ جَمَاعَةُ أَصْحَابِنَا الْمَالِكِيِّينَ"[38]، وقوله: "وَمِمَّنْ كَانَ يَذْهَبُ إِلَى هَذَا الْقَوْلِ مِنْ أَصْحَابِنَا أَبُو الْفَرَجِ عَمْرُو بْنُ مُحَمَّدٍ الْمَالِكِيُّ"[39]، حيث بيّن أنه يقصد بأصحابه المالكية، ونحوها من العبارات الدالة صراحة على انتساب الحافظ ابن عبد البر إلى المذهب المالكي.

ب- تصريح المترجمين له بأنه مالكي المذهب[40]: ومما يدل على تمذهب الحافظ ابن عبد البر -أيضا-، تصريح المترجمين له بذلك، وقد تم التصريح أثناء ذكر ترجمته، إذ تُذكر نسبته المذهبية مع نسبته المكانية، أو أثناء الحديث عن نشأته العلمية، أو بإدراجه ضمن كتب طبقات المالكية:

*وممن صرح بنسبته المذهبية مع نسبته المكانية الإمام الذهبي في سيره إذ يقول فيه: " "الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ،

---

[34] - التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387 ه، ج01، ص233.

[35] - التمهيد، ابن عبد البر، المصدر نفسه، ج01، ص289.

[36] - التمهيد، ابن عيد البر، المصدر نفسه، ج02، ص41.

[37] - التمهيد، ابن عبد البر، المصدر نفسه، ج2، ص165.

[38] - التمهيد، ابن عبد البر، المصدر نفسه، ج01، ص02.

[39] - التمهيد، ابن عبد البر، المصدر نفسه: ج01، ص04.

[40] - قال صلاح الدين الصفدي: في ترجمته لابن عبد البر في كتابه: " كَانَ فِي أول أمره -أي: ابن عبد البر- ظاهري الْمَذْهَب ثمَّ رَجَعَ إِلَى القَوْل بِالْقِيَاسِ من غير تَقْلِيد أحد، إِلَّا أَنه كَانَ يميل إِلَى مَذْهَب الشَّافِعِي" ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ- 2000م، ج29، ص99-100. يوحي كلامه هذا أن ابن عبد البر كان قربه من المذاهب ونظرته إليها متساوية، لكن كيف يفسر الصفدي عناية الحافظ ابن عبد البر بالمذهب المالكي وتأليفه فيه، وكيف يؤول مقولة ابن عبد البر "عليه جماعة أصحابنا المالكيين، وكيف فهم إيراد القاضي عياض لابن عبد البر في طبقات المالكية، ومن هنا فإن كان صلاح الدين الصفدي يقصد بكلامه السابق أن ابن البر لم يكن مقلدا ويتحرى الدليل والحجة فله ذلك، أما إن أراد نفي أصل التمذهب عنه فلا يُسلَّم له.

حَافِظُ المَغْرِبِ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، أَبُو عُمَرَ يُوْسُفُ بنُ عَبْدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ البَرِّ بنِ عَاصِمٍ النَّمَرِيُّ، الأَنْدَلُسِيُّ، القُرْطُبِيُّ، المَالِكِيُّ... "[41].

*أما الإمام السيوطي فقد قال فيه متحدثا عن نشأته العلمية: "وَكَانَ أَولا ظاهريا ثمَّ صَار مالكياً فَقِيها حَافِظًا مكثراً عَالما بالقراءات والْحَدِيث وَالرِّجَال وَالْخلاف كثير الْمَيل إِلَى أَقْوَال الشَّافِعِي"[42].

*أما إيراده ضمن طبقات المالكية، فقد أورده القاضي عياض في كتابه "ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك"[43]، وابن فرحون في كتابه "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"[44] وهما كتابان من أشهر الكتب المؤلفة في تراجم أعيان الفقهاء المالكية.

02/ تأليفه في فقه مذهبه: من علامات إقرار الحافظ ابن عبد البر للتمذهب، ومن الإشارات على تمذهبه، تأليفه في الفقه المالكي وعنايته بمصادر المذهب شرحا ودراسة:

* فمن مؤلفات الحافظ ابن عبد البر في المذهب المالكي كتابه "الكافي في فقه أهل المدينة المالكي"، قال في مقدمة كتابه هذا "فإن بعض إخواننا من أهل الطلب والعناية والرغبة في الزيادة من التعلم سألني أن أجمع له كتابا مختصرا في الفقه... فرأيت أن أجيبه إلى ذلك... واعتمدت فيه على علم أهل المدينة، وسلكت فيه مسلك مذهب الإمام أبي عبد الله مالك بن أنس رحمه الله، لِمَا صح له من جمع مذاهب أسلافه من أهل بلده مع حسن الاختيار وضبط الآثار... واقتطعته من كتب المالكيين ومذهب المدنيين"[45]. فالكتاب على مذهب الإمام مالك، ويدل على ذلك عنوانه ومقولته في مقدمته، وكذا مضمونه ومحتواه للناظر فيه.

* وكذا تأليفه لكتاب (الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: مالك، والشافعي، وأبي حنيفة)، بدأ بالإمام مالك؛ ولا يبعد أن يكون سبب ذلك كونه مالكي المذهب.

03/ ترجيحه للمتعلم أن يتفقه على مذهب الإمام مالك: قال الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله": مبينا أنه يمكن أن يقتصر المتعلم على علم إمام واحد، وأن المختار أن يجعل إمامه الإمام مالك، حيث قال: "فَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى عِلْمِ إِمَامٍ وَاحِدٍ وَحَفِظَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ السُّنَنِ وَوَقَفَ عَلَى غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ فِي الْفَتْوَى حَصَلَ عَلَى نَصِيبٍ مِنَ الْعِلْمِ وَافِرٍ... فَمَنْ قَنَعَ بِهَذَا اكْتَفَى... وَالِاخْتِيَارُ لَهُ أَنْ يَجْعَلَ إِمَامَهُ فِي ذَلِكَ إِمَامَ

[41] – سير أعلام النبلاء، الذهبي، مصدر سابق، ج18، ص153.

[42] – طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط01، 1403، ص432.

[43] – ينظر: ترتيب المدارك، القاضي عياض، مصدر سابق، ج08، ص127.

[44] – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، ج2، ص367.

[45] – الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط02: 1400هـ/1980م، ج01، ص136، 137، 138.

أَهْلِ الْمَدِينَةِ دَارِ الْهِجْرَةِ وَمَعْدِنِ السُّنَّةِ"[46].

ولعل مما حمل الحافظ ابن عبد البر على التمذهب ما للتمذهب من الحسنات والمزايا والأهمية سواء ما تعلق بمطلق التمذهب، أو ما تعلق بالمذهب الذي انتسب إليه، وأكثر ما يبين أهمية التمذهب ومزيته ما يلي:

01/ أنّ التمذهب طريقة عامة أهل العلم في التفقه، وعليها حث العلماء لكونها أيسر وأضبط للفقه، وبها يتحقق الإلمام بمسائل الفقه:

*وقد قال القاضي عياض في هذا الصدد: "وكذلك يلزم هذا طالب العلم في بدايته في درس ما أصله الأعلم من هؤلاء وفرعه وحفظ ما ألفه وجمعه والاهتداء بنظره في ذلك والميل حيث مال معه إذ لو ابتدأ الطالب في كل مسألة فطلب الوقاف على الحق منها بطريق الاجتهاد عسر عليه ذلك"[47].

*وقال ابن فرحون: "فحق على طالب العلم ومريد تعرف الصواب والحق أن يعرف أولاهم بالتقليد ليعتمد على مذهبه، ويسلك في التفقه سبيله"[48].

*وقال الحافظ ابن عبد البر: "فَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى عِلْمِ إِمَامٍ وَاحِدٍ وَحَفِظَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنَ السُّنَنِ وَوَقَفَ عَلَى غَرَضِهِ وَمَقْصِدِهِ فِي الْفَتْوَى حَصَلَ عَلَى نَصِيبٍ مِنَ الْعِلْمِ وَافِرٍ وَحَظٍّ مِنْهُ حَسَنٍ صَالِحٍ، فَمَنْ قَنَعَ بِهَذَا اكْتَفَى وَالْكِفَايَةُ غَيْرُ الْغِنَى" [49].

02/ البعد عن الأقوال الشاذة: وقد أكد ابن وهب على مكانة أقوال الأئمة وأهمية اتباعهم، وأنّ في اتباعهم بعد عن الشذوذ فقال: "كل صاحب حديث، ليس له إمام في الفقه فهو ضال، ولولا أن الله أنقذنا بمالك والليث لضللنا"[50].

* وبيّن الحافظ ابن رجب – أيضا – أهمية اتباع الأئمة المتبوعين المقتدى بهم، وأن ذلك أنفى للشذوذ فقال: "وفي زماننا يتعين كتابة كلام أئمة السلف المقتدى بهم إلى زمن الشافعي وأحمد وإسحاق وأبي عبيد، وليكن الإنسان على حذر مما حدث بعدهم، فإنه حدث بعدهم حوادث كثيرة، وحدث من انتسب إلى متابعة السنة والحديث من الظاهرية ونحوهم، وهو أشد مخالفة لها لشذوذه عن الأئمة وانفراده عنهم بفهم يفهمه، أو يأخذ مالم يأخذ به الأئمة من قبله"[51].

فمما سبق يتبين ما للتمذهب من المزايا والأهمية، وقد راعى الحافظ ابن عبد البر هذه الأهمية والمزية في

---

46 – جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط01: 1414 هـ – 1994 م، ج2، ص1134.

47 – ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض، مصدر سابق، ج01، ص63.

48 – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، ابن فرحون، مصدر سابق، ج01: ص63.

49 – جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، مصدر سابق، ج2، ص1134.

50 – الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد أبو الأجفان – عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت – المكتبة العتيقة، تونس، ط02: 1403 هـ – 1983م، ص119.

51 – بيان فضل علم السلف على علم الخلف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي، ص67.

حياته العلمية، ورغم تأثره بهذا المنحى إلا أنه لم يغل فيه، ولم يتعصب له، بل كان يذم التعصب، ويحذر من الإصرار على الخطأ بعد تبينه.

المبحث الثالث: مظاهر الوسطية في تمذهب الحافظ ابن عبد البر:

يمكن تقسيم التمذهب باعتبار عامة المتمذهبين إلى تمذهب سوي وتمذهب غير سوي أو إلى تمذهب محمود وتمذهب غير محمود، والتمذهب السوي ما امتاز بالاعتدال والتوسط في الولاء لإمام المذهب وتفضيله، وقد كان للاعتدال والتوسط في التمذهب علامات ومظاهر في تمذهب الحافظ ابن عبد البر كالآتي:

01/ ذكره لفضائل أئمة المذاهب الأخرى:

من مظاهر الاعتدال والتوسط في التمذهب أن يذكر فضائل أئمة المذاهب الأخرى، إذ في ذكره لفضائلهم بعدٌ عن التعصب والغلو في إمامه وآرائه، وقد تجلى هذا في صنيع الحافظ ابن عبد البر حين صنف كتابه الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، حيث نقل في كتابه هذا فضائل الأئمة الثلاثة، وقد أشار إلى فضلهم إجمالا في عنوان الكتاب ومقدمته، أما عنوان كتابه فهو: " الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم "، ومقدمته فقد قال فيها: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ طَائِفَةً مِمَّنْ عُنِيَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ وَحَمْلِهِ وَعَلِمَ بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ عَظِيمَ بَرَكَتِهِ وَفَضْلِهِ سَأَلُونِي مُجْتَمِعِينَ وَمُتَفَرِّقِينَ أَنْ أَذْكُرَ لَهُمْ مِنْ أَخْبَارِ الأَئِمَّةِ الثَّلاثَةِ الَّذِينَ طَارَ ذِكْرُهُمْ فِي آفَاقِ الإِسْلامِ لِمَا انْتَشَرَ عَنْهُمْ مِنْ عِلْمِ الْحَلالِ وَالْحَرَامِ وَهُمْ أَبُو عبد الله مَالك بن أنس الاصبحي الْمَدَنِي وَأَبُو عبد الله مُحَمَّد بن إِدْرِيس الشَّافِعِي الْمَكِّيُّ وَأَبُو حَنِيفَةَ النُّعْمَانُ بْنُ ثَابِتٍ الْكُوفِيُّ عُيُونًا وَفَقْرًا يَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَى مَوْضِعِهِمْ مِنَ الإِمَامَةِ فِي الدِّيَانَةِ... وَالْمُذَاكَرَةُ بِهِ مِنْ ثَنَاءِ الْعُلَمَاءِ بَعْدَهُمْ عَلَيْهِمْ وَتَفْضِيلِهِمْ لَهُمْ وَإِقْرَارِهِمْ بِإِمَامَتِهِمْ"[52]. ثم ذهب يعدد في كتابه لكل إمام ما نقل عنه من فضائل.

02/ ذكره لأقوال أئمة المذاهب الأخرى، وترجيحه لبعض آرائهم:

ومن مظاهر وسطية الحافظ ابن عبد البر –أيضا– في تمذهبه ذكره لأقوال أئمة المذاهب الأخرى، بل وترجيحه لبعض آرائهم، وفي هذا التصرف اعتدال وبُعد عن التعصب اللذان هما من مقتضى الوسطية، ومما يدل على ذلك:

استفاضة الحافظ ابن عبد البر في ذكر أقوال الأئمة الفقهاء في كتابه الاستذكار، فقد أشار في عنوان الكتاب، ومقدمته إلى ذلك حيث جعل عنوانه " الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار"

وقال في مقدمته " أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَطَلَبِهِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ مِنْ إِخْوَانِنَا نَفَعَهُمُ اللَّهُ وَإِيَّانَا بِمَا عَلَّمَنَا – سَأَلُونَا فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ مُشَافَهَةً وَمِنْهُمْ مَنْ سَأَلَنِي ذَلِكَ مِنْ آفَاقٍ نَائِيَةٍ مُكَاتِبًا أَنْ أُصَرِّفَ لَهُمْ كِتَابَ

[52] – الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، دار الكتب العلمية – بيروت، ص8، 9.

«التَّمْهِيدِ»عَلَى أَبْوَابِ «المُوَطَّإِ» وَنَسَقِهِ وَأَحْذِفَ لَهُمْ مِنْهُ تَكْرَارَ شَوَاهِدِهِ وَطُرُقِهِ وَأَصِلَ لَهُمْ شَرْحَ المُسْنَدِ وَالمُرْسَلِ اللَّذَيْنِ قَصَدْتُ إِلَى شَرْحِهِمَا خَاصَّةً فِي «التَّمْهِيدِ» بِشَرْحِ جَمِيعِ مَا فِي المُوَطَّأِ مِنْ أَقَاوِيلِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَا لِمَالِكٍ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِ الَّذِي بَنَى عَلَيْهِ مَذْهَبَهُ وَاخْتَارَهُ مِنْ أَقَاوِيلِ سَلَفِ أَهْلِ بَلَدِهِ الَّذِين هُمُ الحُجَّةُ عِنْدَهُ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ وَأَذْكُرُ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ رَسَمَهُ وَذَكَرَهُ فِيهِ مَا لِسَائِرِ فُقَهَاءِ الْأَمْصَارِ مِنَ التَّنَازُعِ فِي مَعَانِيهِ حَتَّى يَتِمَّ شَرْحُ كِتَابِهِ «المُوَطَّإِ» مُسْتَوْعَبًا مُسْتَقْصًى بِعَوْنِ اللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى شَرْطِ الْإِيجَازِ وَالِاخْتِصَارِ وَطَرْحِ مَا فِي الشَّوَاهِدِ مِنَ التَّكْرَارِ إِذْ ذَلِكَ كُلُّهُ مُمَهَّدٌ مَبْسُوطٌ فِي كِتَابِ «التَّمْهِيدِ» وَالْحَمْدُ لِلَّهِ"[53]

ومما يدل على ذلك –أيضا– ظاهر عنوان كتابه: "الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب"، وقد قال في مقدمته: " فَإِنَّ بَعْضَ إِخْوَانِنَا الْمُعْتَنِينَ بِالْعِلْمِ الْمُقَيِّدِينَ لَهُ الْمُتَفَقِّهِينَ فِيهِ ، رَغِبَ أَنْ أَجْمَعَ لَهُ مَا يَقِفُ بِهِ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ السَّلَفِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ فِي قِرَاءَةِ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: 1] فِي أَوَّلِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ فِي الصَّلَاةِ ، وَهَلْ كَانُوا يَعُدُّونَهَا آيَةً مِنْهَا ، فَيَجْهَرُونَ بِهَا إِذَا قَرَءُوا فَاتِحَةَ الْكِتَابِ ، أَوْ يُخْفُونَهَا عِنْدَ قِرَاءَتِهِمْ لَهَا أَوْ يُسْقِطُونَهَا فَلَا يَرَوْنَهَا آيَةً مِنْهَا ، وَلَا مِنْ أَوَائِلِ سُوَرِ الْقُرْآنِ سِوَاهَا؟ وَهَلِ اخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ أَوْ كَانُوا عَلَى وَجْهٍ مِنْهُ مُتَّفِقِينَ؟ وَمَا الَّذِي اخْتَارَهُ أَئِمَّةُ الْفُقَهَاءِ الَّذِينَ تَدُورُ عَلَى مَذَاهِبِهِمُ الْفُتْيَا فِي أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ ذَلِكَ؟"[54]

وقد ضمنه من أقوال الصحابة والتابعين والأئمة الفقهاء في أحكام البسملة بما يغني عن غيره من الكتب.

أما ترجيحه لخلاف مذهبه فكثير ومثال ذلك[55]:

*ثبوت خيار المجلس: وحقيقة المسألة أنه إذا تبايع المتبايعان هل يحق لأحدهما أو كلاهما الرجوع عن البيع أم لا، ما داما في مجلسهما الذي عقد فيه صفقة البيع.

اختلف العلماء في هذه المسألة:

مذهب الحنفية[56] والمالكية[57]: أن خيار المجلس لا يثبت، ويلزم عقد البيع بالإيجاب والقبول.

---

[53] – الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط02: 2002، ص11، 12.

[54] – الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني المغربي، أضواء السلف – السعودية، ط01: 1417هـ / 1997م.

[55] – ينظر: اختيارات الحافظ ابن عبد البر القرطبي الفقهية، في فقه المعاملات من كتابيه التمهيد والاستذكار، أسامة محمد الصلابي، دار ابن حزم، ط01، 2011، ص 174.

[56] – بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط02: 1406هـ – 1986م، ج5، ص228.

مذهب الشافعية[58] والحنابلة[59]: إذا تم العقد بالإيجاب والقبول فلكل واحد من المتعاقدين الخيار في فسخه ما داما مجتمعين في مجلس العقد.

وقد ذهب الحافظ ابن عبد البر إلى القول بثبوت خيار المجلس خلافا للمالكية[60].

03/ ذمه للتقليد، وتحذيره من التعصب:

من إفراط المتمذهبين، تقليدهم لأئمتهم وأخذهم لأقوالهم دون الحرص على معرفة مستندهم وأدلتهم، ومن كبير الاعوجاج أن يتبين للمتمذهب خطأ إمامه ويصر على اتباعه، احتوى هذا المطلب على مظهرين من مظاهر وسطية واعتدال تمذهب الحافظ ابن عبد البر، وهما كالآتي:

أ- ذمه للتقليد:

مما يؤكد اعتدال تمذهب الحافظ ابن عبد البر؛ ذمه للتقليد؛ وهو أخذ القول من غير دليل في حق غير العامي، أما العامي فيسأل من يثق في علمه إذ لا يقدر على أكثر من ذلك:

وقد قال في هذا: " يُقَالُ لِمَنْ قَالَ بِالتَّقْلِيدِ: لِمَ قُلْتُ بِهِ وَخَالَفْتَ السَّلَفَ فِي ذَلِكَ؟ فَإِنَّهُمْ لَمْ يُقَلِّدُوا فَإِنْ قَالَ: قَلَّدْتُ؛ لِأَنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا عِلْمَ لِي بِتَأْوِيلِهِ، وَسُنَّةَ رَسُولِهِ لَمْ أُحْصِهَا وَالَّذِي قَلَّدْتُهُ قَدْ عَلِمَ ذَلِكَ فَقَلَّدْتُ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنِّي قِيلَ لَهُ: أَمَّا الْعُلَمَاءُ إِذَا اجْتَمَعُوا عَلَى شَيْءٍ مِنْ تَأْوِيلِ الْكِتَابِ أَوْ حِكَايَةِ سُنَّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوِ اجْتَمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى شَيْءٍ فَهُوَ الْحَقُّ لَا شَكَّ فِيهِ، وَلَكِنْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا قَلَّدْتَ فِيهِ بَعْضُهُمْ دُونَ بَعْضٍ، فَمَا حُجَّتُكَ فِي تَقْلِيدِ بَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، وَكُلُّهُمْ عَالِمٌ وَلَعَلَّ الَّذِي رَغِبْتَ عَنْ قَوْلِهِ أَعْلَمُ مِنَ الَّذِي ذَهَبْتُ إِلَى مَذْهَبِهِ، فَإِنْ قَالَ: قَلَّدْتُهُ لِأَنِّي عَلِمْتُ أَنَّهُ صَوَابٌ قِيلَ لَهُ: عَلِمْتَ ذَلِكَ بِدَلِيلٍ مِنْ كِتَابٍ أَوْ سُنَّةٍ أَوْ إِجْمَاعٍ، فَإِنْ قَالَ: نَعَمْ، فَقَدْ أَبْطَلَ التَّقْلِيدَ وَطُولِبَ بِمَا ادَّعَاهُ مِنَ الدَّلِيلِ وَإِنْ قَالَ: قَلَّدْتُهُ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ مِنِّي، قِيلَ لَهُ: فَقَلِّدْ كُلَّ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْكَ فَإِنَّكَ تَجِدُ مِنْ ذَلِكَ خَلْقًا كَثِيرًا وَلَا يُحْصَى مَنْ قَلَّدْتَهُ إِذْ عِلَّتُكَ فِيهِ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْكَ وَتَجِدُهُمْ فِي أَكْثَرِ مَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ السُّؤَالِ مُخْتَلِفِينَ فَلِمَ قَلَّدْتَ أَحَدَهُمْ؟ فَإِنْ قَالَ: قَلَّدْتُهُ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ قِيلَ لَهُ: فَهُوَ إِذًا أَعْلَمُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَكَفَى بِقَوْلٍ مِثْلِ هَذَا قُبْحًا وَإِنْ قَالَ: إِنَّمَا قَلَّدْتُ بَعْضَ الصَّحَابَةِ قِيلَ لَهُ: فَمَا حُجَّتُكَ فِي تَرْكِ مَنْ لَمْ تُقَلِّدْ مِنْهُمْ؟ وَلَعَلَّ مَنْ تَرَكْتَ قَوْلَهُ مِنْهُمْ أَعْلَمُ وَأَفْضَلُ مِمَّنْ أَخَذْتَ بِقَوْلِهِ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ لَا يَصِحُّ لِفَضْلِ قَائِلِهِ وَإِنَّمَا يَصِحُّ بِدَلَالَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ "[61] فرغم تمذهب الحافظ ابن عبد البر إلا أنه كان يعتني بالأدلة،

---

[57] – المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، تحقيق: حميش عبد الحقّ، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز – مكة المكرمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ص1043.

[58] – روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، ط03: 1412هـ / 1991م، ج3، ص435.

[59] – الكافي في فقه الإمام أحمد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، دار الكتب العلمية، ط01: 1414 هـ – 1994 م، ج2ن ص26.

[60] – الاستذكار، ابن عبد البر، مصدر سابق: ج6، ص473.

[61] – جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، مصدر سابق ج2، ص994.

ويذم التقليد وأخذ الأقوال من غير دليل.

*أما العامي فقد حكي الإجماع في أنه يقلد العالم:

استثنى الحافظ ابن عبد البر العامي في تقليد غيره إذ لا يقدر على تمييز الأدلة فقال: "فَإِنَّ الْعَامَّةَ لَا بُدَّ لَهَا مِنْ تَقْلِيدِ عُلَمَائِهَا عِنْدَ النَّازِلَةِ تَنْزِلُ بِهَا؛ لِأَنَّهَا لَا تَتَبَيَّنُ مَوْقِعَ الْحُجَّةِ وَلَا تَصِلُ لِعَدَمِ الْفَهْمِ إِلَى عِلْمِ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ دَرَجَاتٌ لَا سَبِيلَ مِنْهَا إِلَى أَعْلَاهَا إِلَّا بِنَيْلِ أَسْفَلِهَا، وَهَذَا هُوَ الْحَائِلُ بَيْنَ الْعَامَّةِ وَبَيْنَ طَلَبِ الْحُجَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَلَمْ تَخْتَلِفِ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْعَامَّةَ عَلَيْهَا تَقْلِيدَ عُلَمَائِهَا وَأَنَّهُمُ الْمُرَادُونَ بِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: 43] وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْأَعْمَى لَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَقْلِيدِ غَيْرِهِ مِمَّنْ يَثِقُ بِمَيْزِهِ بِالْقِبْلَةِ إِذَا أَشْكَلَتْ عَلَيْهِ فَكَذَلِكَ مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا بَصَرَ بِمَعْنَى مَا يَدِينُ بِهُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَقْلِيدِ عَالِمِهِ"[62].

وقال في موضع آخر: "أَمَّا مَنْ قَلَّدَ فِيمَا يَنْزِلُ بِهِ مِنْ أَحْكَامِ الشَّرِيعَةِ عَالِمًا بِمَا يَتَّفِقُ لَهُ عَلَى عِلْمِهِ، فَيُصْدِرُ فِي ذَلِكَ عَمَّا يُجْزِهِ بِهِ فَمَعْذُورٌ؛ لِأَنَّهُ قَدْ أَتَى بِمَا عَلَيْهِ، وَأَدَّى مَا لَزِمَهُ فِيمَا نَزَلَ بِهِ لِجَهْلِهِ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَقْلِيدِ عَالِمِهِ فِيمَا جَهِلَ؛ لِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْمَكْفُوفَ يُقَلِّدُ مَنْ يَثِقُ بِخَبَرِهِ فِي الْقِبْلَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ"[63].

ب- تحذيره من التعصب: قبل بيان تحذير الحافظ ابن عبد البر من التعصب، نود تعريف التعصب لغة واصطلاحا.

تعريف التعصب:

* لغة: التعصب في لغة العرب مشتق من مادة "عصب" قال ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالصَّادُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى رَبْطِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ"[64]. ويقال للشيء عصبه عصبا إذا طواه ولواه شديدا وشدّه[65]. وكُلُّ شَيْء استدَارَ بِشَيْء فَقَد عَصَبَ بِه، والعمائمُ يُقَال لَهَا العَصَائِب مِنْ هَذَا.[66] إذ تستدير بالرأس وتشدّه، وسمي الأَقَارِبُ مِن جِهَة الأَب، العَصَبَة ؛ لأَنهم يَعْصِبُونَه ويَعْتَصِب بِهِم، أَي: يُحِيطون بِهِ، ويَشْتَدُّ بهم.[67]

ومن هنا فمعنى العَصَب يدور حول الاستدارة والإحاطة والشدّ.

أما التَّعصُّب: فهو من الفعل تعصَّبَ يتعصَّب، تعصُّبًا، فهو مُتعصِّب، والمفعول مُتعصَّب له[68]، يقال تَعَصَّب الرجل: إذا أَتَى بالعَصَبِيَّة، وَهُوَ أَنْ يَدْعُوَ الرّجلُ إِلى نُصْرَةِ عَصَبَتِه، والتَّأَلُّبِ مَعَهم على من يُنَاوِئهم

---

[62] – جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، المصدر نفسه، ج2، ص988.

[63] – جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، المصدر نفسه، ج2، ص995.

[64] – معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، مصدر سابق، ج4، ص336.

[65] – معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة، بيروت، عام النشر: [1377 – 1380 هـ]، [1958 – 1960 م]، ج4، ص116.

[66] – من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ج3، ص382.

[67] – تاج العروس، الزَّبيدي، المصدر نفسه، ج3، ص382.

[68] – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، مرجع سابق، ج2، ص1505.

ظَالِمِين كَانُوا أَوْ مَظْلُومِين[69]، ويقال تعصَّب فلان لصديقه: إذا مال إليه وغالى في التَّعلُّق به[70]، والتَّعَصُّبُ: المُحَامَاةُ والمُدَافَعَة[71]. ومما نجد أن التعصّب يأتي بمعنى النصرة والدفاع والميل لأمر أو شيء ما سواء كان صوابا أم خطئا مع الغلوّ فيه.

وقد عرفت بعض المعاجم اللغوية المعاصرة التَّعصُّب بأنه: عدم قبول الحقّ عند ظهور الدّليل من فرط التّمادي في الميل والانحياز[72]. وفي علوم النفس، التعصب هو: ارتباط الشخص بفكر أو جماعة والانغلاق على مبادئها، وقد يكون تعصُّبًا دينيًّا أو مذهبيًّا أو سياسيًّا أو طائفيًّا أو عنصريًّا، وهو سلوك خطير قد ينحدر نحو الأسوأ، ثم يؤدِّي إلى التطرُّف والهلاك والخراب[73].

* اصطلاحا: المراد بالتعصب في هذا البحث هو التعصب المذهبي، وهو في الجملة لا يخرج عن التعريفات اللغوية العامة للتعصب، ومن أحسن التعاريف للتعصب المذهبي، تعريف ابن مُلّا فَرُّوخ حيث قال: "والتعصب هُوَ الْمَيل مَعَ الْهوى لأجل نصْرَة الْمَذْهَب، ومعاملة الإِمَام الآخر ومقلديه بِمَا يحط عَنْهُم"[74].

أما تحذير الحافظ ابن عبد البر من أخذ القول مع ظهور خطئه: فقد ذكر الحافظ ابن عبد البر في كتابه "جامع بيان العلم وفضله": "باب جامع بيان ما يلزم الناظر في اختلاف العلماء". وبين فيه أنّ من له القدرة على النظر وتمييز الأقوال لا يسعه اتباع قول إمام إذا تبين خطأه فقال: "فَإِذَا بَانَ له أَنَّه خَطأٌ – أي: قول الإمام – لِخِلافهِ نَص الْكتابِ أَوْ نَصَّ السُّنَّةِ أَوْ إِجْمَاعَ الْعُلَمَاءِ لَمْ يَسَعْهُ اتِّبَاعُهُ"[75].

الخاتمة

من خلال ما سبق يتبين أن الوقوف بين مطلق التمذهب والتعصب مظهر من مظاهر الوسطية المنشودة، وصورة من صور التمذهب السوي، وقد درج على هذا النهج عدد غير قليل من العلماء ممن تلقت الأمة أقوالهم وكتبهم بالقبول كالحافظ ابن عبد البر المالكي، وذلك لكون التمذهب أيسر طريق لتعلم الفقه وأصوله، وأن الأئمة هم الوساطة والطريق الموصلة إلى معرفة الحق، فضلا عما للتمذهب من الحفاظ على أقضية الناس من التلاعب، وخروج عامة المسلمين إلى تتبع الرخص، والبعد عن الشذوذ الفقهي، الذي بإمكانه أن يؤدي لهذا الأخير إلى الشذوذ الفكري والتطرف في التعامل، وقد بين الإمام الشاطبي أهمية اتخاذ الأئمة وساطة لمعرفة الحق والاهتداء إليه بقوله: "إذا ثَبت أَنَّ الحق هو المُعْتَبَرُ دون الرجال، فالحق أيضا لا

---

[69] – تاج العروس، الزَّبيدي، مصدر سابق، ج3، ص381.

[70] – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، مرجع سابق، ج2، ص1505.

[71] – تاج العروس ، الزَّبيدي، مصدر سابق، ج3، ص382.

[72] – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، مرجع سابق، ج2، ص1505.

[73] – معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، مرجع سابق، ج2، ص1505.

[74] – القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد، محمد بن عبد العظيم المكي الرومي المورووي الحنفي الملقب بابن مُلّا فَرُّوخ، تحقيق: جاسم مهلهل الياسين ، عدنان سالم الرومي، دار الدعوة – الكويت، ط01: 1988، ص47-48.

[75] – جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر ، مصدر سابق، ج2، ص898.

يعرف دون وساطتهم بل بهم يتوصل إليه وهم الأدلة على طريقه"[76].

فكان لوسطيته عظيم الأثر في تلقي الأمة لكلامه بالقبول، وبيان الصورة المنيرة للمذاهب الاسلامية، وإيضاح حقيقة التمذهب السوي، وتقديم درس في الإنصاف والعدل والوسطية فرغم ولوعه بمذهبه والحث عليه والعناية بكتبه إلا أن هذا لم يؤد به إلى الغلو فيه ولا التعصب إليه ان رأى الحق في سواه، في مقابل ذلك رغم بلوغه مرتبة الاجتهاد والقدرة على النظر في الأدلة واستنباط الأحكام إلا أنه لم ينس لأرباب المذاهب فضلهم ولا لجهود أتباعهم حسن صنيعهم، ولا لمزية أصل التمذهب في التنشئة السوية للفقيه قدرها، ولا شك أن هذا التعامل نمط من أنماط التعايش السوي بين المذاهب الفقهية التي لا ينفك المسلمون قاطبة عن التعامل معها وأخذ أحكام دينهم عن طريقها.

ومن آثار وإيجابيات التوسط في التمذهب أنه يتناسب والطريقة الصحيحة لطلب الفقه فيبدأ بمذهب أهل بلده، ويكون ذلك أيسر للطلب وأكثر وجودا لمن يستطيع أن يعلمه إياه، وأبعد عن النزاع والخصومة لمن يعايشهم.

زيادة على أن هذا النمط من التّمذهب لا يفضي إلى الحطّ من قدر أئمة المذاهب الأخرى، أو ذكر مثالبهم والطعن فيهم، بل العدل يقتضي الإقرار بالفضل للجميع، وقد قال الإمام الشاطبي: "وعَين الْإنصاف تَرَى أن الجميع أئمة فُضلاء" [77]

ومن خلال هذا البحث يمكن أن نخلص إلى النتائج الآتية:

– أن الوسطية معنى أكبر من أن يحاط بتعريف محدد، إذ تتوسع معانيها بتوسع معاني الحياة.

– أن السبيل الوحيد للحد من تناحر المذاهب الفقهية هو التوسط في التمذهب، وتربية أرباب كل مذهب أتباعهم على ذلك.

– أن الحافظ ابن عبد البر المالكي يُعدُّ مثلا يُحتذى به في الوسطية والاعتدال في التمذهب.

ويحسن بنا في ختام هذا البحث أن نوصي بالتوصيات الآتية:

*** الحرص على تلمُّس وتشوُّف معاني الوسطية في القضايا التي هي محل نزاع بين أمة الإسلام من خلال** تصرفات الأئمة المتفق على جلالتهم، وتلقتهم الأمة بالقبول، وإفراد ذلك ببحوث علمية.

*** تجلية معاني الوسطية في التعامل مع المخالف للفرد المسلم عموما، ولطلبة العلم على وجه الخصوص، من طرف العلماء والدعاة.**

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

---

[76] – الاعْتِصَام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة: مجموعة من الباحثين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط01: 1429 هـ – 2008 م، ج3، ص338.

[77] – الاعْتِصَام، الشاطبي، المصدر نفسه، ج3، ص320.

مصادر ومراجع البحث:

- الخصائص العامة للإسلام، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ط02: 1404هـ-1983م.
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمري، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب، ط01: 1965 - 1983م.
- طبقات الحفاظ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط01، 1403.
- اختيارات الحافظ ابن عبد البر القرطبي الفقهية، في فقه المعاملات من كتابيه التمهيد والاستذكار، أسامة محمد الصلابي، دار ابن حزم، ط01، 2011.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، دار الكتب العلمية - بيروت، ط02: 2002.
- الاعْتِصَام، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، تحقيق ودراسة: مجموعة من الباحثين، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط01: 1429 هـ - 2008 م.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط: 15، أيار/مايو 2002م.
- الأمة الوسط والمنهاج النبوي في الدعوة إلى الله، عبد الله بن عبد المحسن بن عبد الرحمن التركي، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ط: 01، 1418هـ.
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، دار الكتب العلمية – بيروت.
- الإنصاف فيما بين علماء المسلمين في قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في فاتحة الكتاب، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الجيلاني، أضواء السلف – السعودية، ط01: 1417هـ/ 1997م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984 هـ.
- التمذهب دراسة نظرية نقدية، خالد بن مساعد بن محمد الرويتع، دار التدميرية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط01: 1434هـ/2013م.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387 ه.
- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، حققه وقدم له وعلق عليه: محمد أبو الأجفان - عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة، بيروت - المكتبة العتيقة، تونس، ط02: 1403 هـ - 1983م.
- القول السديد في بعض مسائل الاجتهاد والتقليد، محمد بن عبد العظيم المكي الرومي الموروي الحنفي الملقب بابن مُلّا فَرُّوخ، تحقيق: جاسم مهلهل الياسين ، عدنان سالم الرومي، دار الدعوة – الكويت، ط01: 1988.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، دار الكتب العلمية، ط01: 1414 هـ - 1994 م.
- الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: محمد محمد أحيد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط02: 1400هـ/1980م.
- المعونة على مذهب عالم المدينة «الإمام مالك بن أنس»، أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي المالكي، تحقيق:

حميش عبد الحقّ، المكتبة التجارية، مصطفى أحمد الباز – مكة المكرمة، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

– الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت، 1420هـ – 2000م.

– الوسطية مطلبا شرعيا حضاريا، وهبة الزحيلي، ضمن أبحاث مؤتمر "الوسطية منهج حياة"، على موقع http://islam.gov.kw/Pages/ar/BooksItems.aspx?catId=9

– بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، دار الكتب العلمية، ط02: 1406هـ – 1986م.

– بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي، دار الكاتب العربي – القاهرة، 1967م.

– بيان فضل علم السلف على علم الخلف، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد بن ناصر العجمي.

– تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

– تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي، وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث – القاهرة.

– تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط01: 1419 هـ.

– جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط:01، 1422 هـ – 2001 م.

– جامع بيان العلم وفضله، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط01: 1414 هـ – 1994 م.

– جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس، محمد بن فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحَمِيدي أبو عبد الله بن أبي نصر، الدار المصرية للتأليف والنشر – القاهرة، 1966 م.

– روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت– دمشق– عمان، ط03: 1412هـ / 1991م.

– سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط03: 1405 هـ / 1985 م.

– مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط05: 1420هـ/1999م.

– معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، أحمد مختار عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، ط01، 1429 هـ – 2008 م.

– معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط01، 1429هـ – 2008م.

– معجم متن اللغة (موسوعة لغوية حديثة)، أحمد رضا (عضو المجمع العلمي العربي بدمشق)، دار مكتبة الحياة، بيروت، عام النشر: [1377 – 1380هـ]، [1958 – 1960م].

– معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.

– من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.